عما أحاط به من العوامل والمؤثرات ليكون ذلك فى هداية الناقد ومعونته على فهم القائل حق الفهم ، ولذلك يقول «سانت بوف» : إن من أراد أن يكتب عن شاعر أو كاتب فليبحث حياته وسيرته بحثاً دقيقاً ليعرف كيف كان يعيش فى منزله وفى الخارج حتى يمكن تصويره فى جميع صوره ، ومن المأثور عن هذا الناقد الكبير أنه كان يهتم بقراءة رسائل الذين كان يرغب فى الكتابة عنهم الخصوصية وكذلك مفكراتهم واعترافاتهم لأنهم يظهرون فيها غالبا بمظاهرهم الحقيقية

ثم هناك ناحية هامة لا نحسبها تخفى على القارئ الفطن ، وهى أننا إذا تركنا الناقد يفهم فى الكلام كما يشاء ، ويحكم على الأثر المنقود حسبما يذهب إليه فهمه وتصوره ، فان حكمه — والحال هذه — يكون على مواهبه هو ، ومدى إدراكه وفهمه، لا على مواهب القائل ومدى ما عنده من الفن والعبقرية . ولاشك أن هذا تعطيل لمهمة النقد ، وخروج بالحكم الأدبى عن وضعه ، ومن ثم فقد أخذ الرهم بمقول بعض الناس فزعموا أن النقد لا حقيقة له ، لأنه ليس إلا فهم الناقد لا فكرة القائل، بمعنى أننا إذ نكشف عن معنى فى تعبير أدبى ، فلسنا نكشف فى الواقع عن معنى قصد إليه الشاعر أو الكاتب ، ولكنا نكشف عن معنى انقدح فى ذهننا وتمثل لفهمنا ! وقد يكون هذا المذهب صحيحاً أو غير صحيح ، ولكنا لاشك نرده على أصحابه إذ نطلب من الناقد أن يكون فهمه إنما هو لمقصود القائل وما يرمى إليه ، وهذا أمر هين على الناقد المستكمل الأداة المتدرب بالمران

محمد فهمى عبد اللطيف

فردريك نيتشـــــه

للأستاذ فليكس فارس

— ٣ —

ذلك كان فردريك نيتشه ، مجسم القوة المفكرة التى دارت بها النائبات وحاصرتها الأوجاع وتصادمت مع تيارات الفلسفات التى كانت تهب فى ذلك العهد فى ألمانيا وفى أوربا بأسرها حاملة للعالم مبادئ تضعضع العقل وتهز المجتمع بتقويضها كل عقيدة تقيم أمام الانسان غاية لحياته

فقد كانت أفكار فيخته وشلينغ وهيغل وشوبنهور تهب جميعها ناشرة فى أوربا مزيجاً من مذاهب القدرية والعدمية ووحدة الوجود والارادة الحرة ، فقال شوبنهور إن روح الوجود قوة طائشة عمياء أدركت نفسها فى عقل الانسان وشعوره فوجم حائراً وفى نفسه ظمأ فى صحراء لا ماء فيها غير وهج السراب ، ولم يجد هذا الفيلسوف من علاج لهذه العلة غير التمرد على الحياة نفسها بترك ملذاتها والالتجاء إلى الزهد وانتظار الفناء فى ما يشبه النيرفانا وهي القوة التى تتلاشى كل شخصية فيها

وكانت الفلسفة الدينية تقاوم هذه التيارات للاحتفاظ بالعقيدة المسيحية بأبحاث لاهوتية ينسجها حول تعاليم عيسى رهط من المفكرين كنوبمن وكورليج وكارليل وشلير ماخر وبيارلرووجان بابتو وشارل سكريتان وأضرابهم فزجوا بالانجيل فى مآزق مجادلات ليست منه وليس منها فى شئ . وهل خطر لذلك العلم الانسانى وهو يدعو إلى تطهير النفس ومقاومة الظلم والأخذ بالرحمة وإقامة الاخاء بين بنى الانسان أن ينشىء مدرسة للتعليل عن مظاهر الكون ومنشأ الروح والانعكاسات من الآفاق والانطباعات فى السرائر ؟ بل هل خطر له أن يبحث علاقته بالله وعلاقته هو وحده أو هو وأبو الخليقة كلها بروح القدس ؟

* * *

وأخذ نيتشه بهذه التيارات تهب من كل جانب على فكره الوقاد تلهبه الآلام وتثير تشوقه إلى حال يعلل فيها سبب وجوده وهدف سيره وجهاده

إن الرجل المتمتع بصحة الجسم وبشيء من العزم يكتفي من هذه الحياة بما تعطيه ، فاذا آمن بالله واليوم الآخر وقف عند إيمانه هذا مرتاحاً إلى ضميره ، وإذا أخذ بفلسفة الجحود رضي بهذه المرحلة من شعوره بذاته وطلب أوفر تمتع بأقل جهد

ولا يسطو القلقُ الفكري بخاصة في حالة الحيرة من أمر هذه الحياة إلاَّ على الانسان الذي يؤدي ثمناً باهظاً من أوجاعه لكل لذّة يختلسها كالسارق من قوّته الأسيرة في ضعفه الجائر

إن مثل هذا الانسان إذا عززته القوة الخفية بالحس المرهف ، يطالب الدنيا ببدلٍ لما يبذل فيها فيستنطق نفسه والآفاق ليعلم ما إذا كان لهذه الانسانية المعذّبة المجاهدة ما يبرر عذابها وجهادها

وفردريك نيتشه كان ذلك الانسان فما أرضته من الفلسفة اللاهوتية تلك الأحاجي التي أحيطت المسيحية بها، وما كان ليرضى من جهة أخرى بهذه القوة الهوجاء التي صوّرها شوبنهور موجدةً لانسان لم يُعط له إلا التصوّر لاقامة أشباحٍ تتراقص حوله وهي غير كائنة إلا في وهمه

ونظر نيتشه إلى الوجود فرأى وراء صوره المتحولة مادة تتعالى عن الاندثار ، فنشأت فيه فكرة العودة المستمرة، وبدأت صورة زرادشت ترتسم في ذهنه حتى استكملها فأنشأ كتابه في أوقات متقطعة من سنتي ١٨٨٣ و ١٨٨٥ في فترات كانت تسكن فيها حِدّة دائه أو هو يسكنها بما كان يتناوله من جرعات الكلورال المخدر . وهو نفسه يقول : إنه كتب كلاً من الأجزاء الثلاثة الأولى من زرادشت في مدى عشرة أيام كان فيها مأخوذاً بالهامه خاضعاً لقريحة تحكمت فيه فلم يستطع مقاومتها حتى أرهقته إرهاقاً

إذا نحن عرفنا هذا تجلت لنا العوامل التي ألقت على زرادشت وشاح الأحلام ، فان نيتشة يقبض في فصوله على مشاعر قارئه ليمر به على رؤى يتسامى الخيال فيها إلى أوجه مفلتاً من رقابة القوي الواعية فكأنه يسير بمطالعه في عالم أحلام تبعث أشباحها من انطباعات القوى الواعية ولكنها تتبع في مرورها وحركاتها ما تحسبه تضعضعاً في عالم القوى الساهية المجهولة

لقد ماشينا نيتشه في حلمه وهو يستعير لعقله الباطن أو لسريرته أو لفكرته الساهية اسم زرادشت الفارسي الذي قال بالخير والشر كقوتين تتنازعان حياة الانسان ، فرأينا زرادشت الزيف لا يقلد الأصلي باتخاذه اتباعاً له وباقتباسه لهجة حكماء الشرق إلا ليعارض فكرة الخير والشر قائلاً : إنها نشأت دخيلة على الانسانية ، وأن ليس لهذه الانسانية أن تتفوق على ذاتها إلا بانكار الخير والشر وتحطيم ألواح الشرائع المقدرة لقيم الأعمال ، لأن كل شعب اشترع لنفسه ما لا يتوافق واشتراع جاره

ولكن نيتشه المتلبس خيال زرادشت في رؤياه لم يتنبه إلى أنه يرتكب تناقضاً بيناً في دعوته إذ ينكر ما يراه من خير وشر طلباً لحالة جديدة يراها هو خيراً يريد أن يتسلح به للقضاء على شر ينكر وجوده

ولو كانت الحقيقة كامنة وراء الخير والشر كما يدعي زرادشت الجديد، أو بتعبير آخر لو أن هنالك حقيقة مجردة عن الخير فلماذا يطلب زرادشت هذه الحقيقة وهو يعلن أنها أسير كل الخير للانسانية إذا هي أدركتها ؟

* * *

إن تحديد الخير والشر في الكلمات العشر إنما هو أساس كل شرعةٍ تكفل حق الفرد ونظام المجموع

لقد تتناقض الأحكام التي تسنها الحكومات والجماعات في مجال الأزمان مستوحاةً من حالةٍ موقتة تدفع إليها حاجةٌ ملحّة ، فتُكتب ألواحٌ تستبدَلُ بتبدُّل الوضع والملابسات ولكنَّ السننَ التي تسنلهم من الشريعة الموحى بها لا يمكن أن تتعارض إذا هي سلمت من دخيلات الأوضاع الانسانية . وكلُّ شرعةٍ أصيلة تحتفظ بطابع مصدرها تتوافق حتماً وكلُّ شريعةٍ تحدَّرت مثلها من ذلك الأصل

إنَّ زرادشت الجديد لم يَجُلْ في مسارح حلمه فاتحاً لسريرته مجالاتِ التفكير إلاَّ وهو يحتفظ بانطباعاتٍ من تواريخ الأمم القديمة الوثنية وبصورٍ متناقضة من القوانين التي أبدعتها حكومات الغرب وجماعاته ونقاباته الصناعية والمالية فتمثّلت هذه السننُ أشباحَ ألواحٍ تتراقص عليها ألوانُ المبدَع ، فما وسع زرادشت إلاَّ أن يثور عليها ويدعو أتباعه إلى تحطيمها

أما اللوحان الأوّلان وكلمة عيسى بأن يعامل الانسان أخاه بما يريد أن يعامله أخوه به والشريعة الأحدية التي جاءت على أساس هذا المبدأ بخير الكلّيات تُستنبط منها الأحكام لكل جماعة ولكل زمان ، فان زرادشت لم يبحثها، مع أن نفسه كانت تصبو إليها لشعوره بوجودها وراء أقنعة النظم التي أسدلها الغرب على مجتمعاته . وإذ كان لم يتميزها فما ذلك إلا لأن دماغه كان

يتصدّع بما حُشر فيه من فلسفة اليونان القديمة ومن مشاحنات أعلام عصره الذين شُغلوا بالجدل والماحكات المنطقية المجردة حتى أتوا بنظريات تورث الدوار وتبلبل الفكر فيضطر من ألمّ بها إلى نبذها جميعاً لأنها كدود القبور يلتهم بعضها البعض الآخر بعد أن تتغذى من جيفة لا حياة فيها

وفى هذا الحلم يسير زرادشت هادماً كلّ ناموس ونظام لينبىء الناس بالخلود وبقاء الذات فى وجود شبيه بالساعة الرملية ينقلب أبداً قسمها الفرغ لاستفراغ قسمها المتلئ

ولا يطمئن القارىء فى الظفر من زرادشت بما يثبت هذه العقيدة الراسية على خلود مبهم وعودة أشد إبهاماً لأنه لن يظفر منه بغير صور يلمحها لمحاً في بيان شعرى يتلبس الفلسفة دون أن يكون فيه أثر لأى استقراء أو لأى تعليل فيخرج من استغراقه وهو لا يدرى أيقصد نيتشه من العودة المستمرة مايتوهمه الملحدون من خلود الآباء فى الأبناء أم هو يرمى إلى عودة الشخصية بالذات ناسية ماضيها تاركة فى كل مرحلة من مراحلها جثة تتلوها جثة على مدى الأحقاب .

لقد تمرد نيتشه أمام العدم كما قلنا وخفيت عنه حقيقة الدين الذى أخذ به الغرب عن عيسى فأحاطه بالمسميات كما خفيت عنه حقيقة ما أنزل على محمد فشوّهه هذا الغرب بالافتراء والتشنيع تعصباً وجهلاً فوقف مفكراً جباراً لا يستسلم لفكرة الموت فى غاية المكون ولا يرضى بالنظم الاجتماعية التى أوجدتها المدنية وأسندتها إلى الدين. وهكذا هب يطلب للانسانية إلهاً منها يسودها، وللأرض معنى أبدياً يحول كل زوال فيها إلى خلود مستمر التجدد بين الخفاء والظهور فى محدود غير محدود ...

ولو تسنى لنيتشه أن ينفذ حقيقة الايمان الذي دعا عيسى إليه مكملا ما جاء به موسى لكان تجلى له إيماناً بالقوة ترفع الضعفاء لا بالضعف يسلط عليهم الأقوياء ، ولو تسنى له أن يستنير بما جاء به الاسلام من مبادىء اجتماعية عملية عليا تماشى ما جاء به عيسى ولا تنقضه لأدرك أن فى الدين الحق دستوراً يهدم كل ما أراد هو هدمه من صروح الفساد فى المجتمع، ويوجد الانسان المتصف بمكارم الأخلاق محباً للحياة والقوة والجمال والحرية دون أن يكسر حلقة الانسانية ويحاول الانطلاق منها وهو لا يزال يلبس تراب الأرض ويرسف فى أغلالها

ولكن نيتشه بانذفاعه إلى معارضة الفلاسفة من معاصريه وبثورته على التفكير الدينى والتفكير المطلق فى آن واحد رأى أن التكامل النيل عطف الألوهية الراسخة فى الأذهان والتخلص من عقابها الصارم يقتضى الاعراض عن الزائلات والاستكانة إلى السلطة واعتبار العقلية الجنسية ملطحه بأوسار الخطيئة فثار على هذه الألوهية المزيفة التى ما عرفها الشرق فى أى دور من أدوار وحيه ، وهكذا كفر نيتشه بالله فأعلن موته واختناقه برحمته

هذا هو جحود نيتشه فى تعاليم زرادشت وهو فى تقديرنا إذا نحن استرنا بالدين الحق كما تدركه ذهنيتنا السامية جحودٌ يتجه إلى غير الإله الواحد الأحد رب الناس أجمعين .

بل إننا إذا ذكرنا القاعدة المثلى التى وردت فى حديث للنبى الكريم على قول أو فى كلمة لأمير المؤمنين عمر على قول آخر ، وهى « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »

إذا ذكرنا ذلك ، يتضح لدينا أن نيتشه قد ذهب إلى أبعد مدىً فى الامتثال للوصية الأولى وقد فاتته الوصية الثانية وهى وصية راسخة في أرواح أبناء هذه البلاد الشرقية العربية ، فليس إذاً فى عظات زرادشت ما يزعزع عقائدنا أو ينال من إيماننا ، بل إن فيها ما يتمشى والمبادىء العليا التى اتخذها السلف الصالح أساساً لاقامة عظمة الدين على عظمة الحياة .

(البقية فى العدد القادم) فيلكس فارس

والإنسان يبحث عن السر الطبيعي فلم يكتشف الوصية أبو سينا بوابة علم العلاج بالأعشاب الذي يرع فيه وصار فيادة . بدون منازع . العلامة الأستاذ الدكتور ماجنوس لتعبر شفاه . فقدم جنابه لبني الإنسان ف لوتونيطس الوسيلة الطبيعية الوحيدة لحفظ قوى الشباب والوقاية من أمراض الشيخوخة المبكرة . ابتكار حديث : في حالات . سرعة القذف . يجب استعمال . قوى تيطس نمره ٣ . وذلك معرفة كل ما يختص بالأمور الناسلية يجب مطالعة كتاب . الحياة الجديدة . الذي يرسل إليك نظيره للنسخة الفرنسية أو الانجليزية المجلدة برسوم ذات ٥ ألوان و٣ للنسخة العربية . أرسل المبلغ طوابع بريدية : جلاتهوروميان ص ب ٢١٠٥ بمصر